المرادية ومحمد على باشا

استخدم محمد على باشا حيلته الواسعة فى إضعاف شوكة المماليك وتفريق شملهم ، ولقيت السيدة نفيسة المرادية كثيرا من الكوارث على يديه بعد أن توطد حكمه ، فقد صادر ما بقى لها من مال وعقار ، وصادر أملاكها الزراعية ، وعاشت بقية أيامها فى فقر وعسر . ولكنها تقبلت كل ذلك بثبات واستسلام لمشيئة الله ، ولم تفارقها مروءتها ولا شمم نفسها ، وظلت أبية ، شامخة النفس ، تساعد كل من يلجأ إليها ، ويحتاج إلى معونتها .

وقد روى الجبرتى عن موقفها من محمد على باشا ، حينما أمر نساء المماليك باستقبال زوجته أم ابنه إسماعيل حين وصولها إلى مصر مع كثير من أهلها وأهل زوجها قال :

« ففى صباح الأربعاء ١٦ من ربيع الثانى سنة ١٢٢٤ هـ ، وصلت زوجة محمد على ومعها ابنها إسماعيل ، وكان ابنها إبراهيم قد ذهب لملاقاتها فى الإسكندرية ، وعند وصولها القاهرة خرج محمد على لملاقاتها على ساحل بولاق ، وأمر نساء المماليك بالنزول لملاقاتها أيضا ، فذهبت منهن نحو خمسمائة سيدة يركبن الحمير ، غير أن السيدة نفيسة المرادية اعتذرت عن الذهاب لملاقاة محمد على متعللة بالمرض » .

ولكن يفهم من سياق ما ذكره الجبرتى بعد ذلك ، أن محمد على لم يقبل عذرها ، وأرغمها على النزول لملاقاة زوجه .